السؤال الأول عن جوانب
الفكر الصوتي عند الخليل

كتاب العين

سابقا) فاعتمدوا

على ما اتبعوه

والسؤال الثاني مجمع من سؤالين
سبق لكم أن صوّرتموهما.
وهما موجودان بالداخل

د/ محمد حماد

الفرقة الأولى "برنامج الماجستير"

س٤: تحدث بالتفصيل عن تحليل الخليل بن أحمد للأصوات العربية:

ج: يعد الحديث عن تحليل الخليل بن أحمد للأصوات العربية مهما من عدة جوانب، منها:

١- أنه أول حديث مفصل وعلمي وشامل للأصوات اللغوية العربية.
٢- " " حديث صادر عن لغوي عربي أصيل العروبة.
٣- " " " " " " عاش في عصر الاحتجاج، أي قبل أن تفقد اللغة العربية فصاحتها، وحجيتها.
٤- أنه تلقى علمه اللغوي بالمشافهة والرؤية الشخصية لفصحاء العرب، والأخذ عنهم، ورواية منطوقاتهم كما سمعها بنفسه.
٥- يكاد يكون أشهر اللغويين العرب الذين لم يفهموا فهما حقيقيا وعلميا حتى الآن؛ لأن كثيرا من القدماء خالفوه عن قصد، أو عن غير قصد، ولأن كثيرا من المحدثين لم يفهموا علمه، ولا مصطلحاته، وسارعوا باتهامه، وهم في هذا الاتهام من أغبى خلق الله (سامحوني على القسوة).

نترك هذا التمهيد إلى الوصف التفصيلي في النقاط الآتية:

مخارج الأصوات:

تعرض الخليل بن أحمد لتحديد مخارج الأصوات العربية، وكان هذا التحديد دقيقا إلى أبعد مدى، ولنتركه يصرح بنفسه:

قال عن الهمزة:

"وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق، مهتوتة مضغوطة، فإذا رفه عنها لانت". (العين: ١/ ٥٢).

ويذكر الهاء، ويرى أنها من أقصى الحلق كذلك، وفيها هتة أيضا، ويصف مخرجها بأنه قريب من مخرج الحاء. (العين: ١/ ٥٧)

وبعد ذلك يتحدث عن مخرج الحاء والعين، ومخرج الخاء والغين واصفا أحياز هذه الأصوات، ومفرقا بين مصطلحي المخرج والحيز، فالمخرج أوسع دلالة وأشمل مفهوما؛ لأنه يتضمن حيزين فأكثر، مثل مخرج الحلق الذي يتضمن ثلاثة أحياز:

تابع س٤

١) أحياز مخرج الحلق:
• أقصى الحلق: ويخرج منه الهمزة والهاء.
• وسط الحلق: " " الحاء والعين.
• أدنى " : " " الخاء والغين. (العين: ١/٥٨).

٢) الأصوات اللهوية: وهي عند الخليل: القاف والكاف. يقول: "والقاف والكاف لهويتان؛ لأن مبدأهما من اللهاة" (١/٥٨).

٣) الأصوات الشجرية: وهي عند الخليل: الجيم والشين والضاد، "وسميت بذلك لأن مبدأها من شجر الفم، أي من مفرج الفم" (العين: ١/٥٨).

٤) الأصوات الأسلية: وهي عند الخليل: الصاد والسين والزاي وسميت أسلية؛ لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان. (العين: ١/٥٨)

٥) الأصوات النطعية: وهي عند الخليل: الطاء والتاء والدال، وهي التي يبدأ خروجها من نطع الغار الأعلى للفم؛ لأن النطع ما ظهر من غار الفم الأعلى، وهي الجلدة الملتزقة بعظم الخليقاء، فيها آثار كالتحزيز، وهناك موقع اللسان في اللسان. (لسان العرب: نطع).

٦) الأصوات اللثوية: وهي عند الخليل: الظاء والذال والثاء، وسميت لثوية؛ لأن مبدأها من اللثة.

٧) الأصوات الذلقية: وهي عند الخليل: الراء واللام والنون، وسميت ذلقية؛ لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان (العين: ١/٥٨)

٨) الأصوات الشفوية: وهي عند الخليل بن أحمد: الفاء والباء والميم، وسميت بذلك؛ لأن مبدأها من الشفة.

٩) هناك أصوات هوائية، أو جوفية ينسبها الخليل إلى الهواء أو الجوف، وهي الياء والواو والألف، ويضم إليها الهمزة حين اعتلالها.

ابن جني تبع سيبويه

سابع س٢

س٢: تحدث بالتفصيل عن مخارج الأصوات عند ابن جني:

ج: اتبع ابن جني مذهب سيبويه في وصف مخارج الأصوات العربية بصفة عامة؛ لأن ترتيب سيبويه للأصوات العربية هو:

ء ا هـ | ع ح | غ خ | ك | ق | ض ج ش ي | ر ل ن | ط د ت | ص ز س | ظ ذ ث | ف ب م و ا. (الكتاب: ٤/٤٣١).

أما ترتيب ابن جني فهو:

ء ا هـ | ع ح | غ خ | ق | ك | ج ش ي | ض | ل | ر | ن | ط د ت | ص ز س | ظ ذ ث | ف | ب م و ا. (سر الصناعة: ١/٥٤).

والمخارج عنده مرتبة كالآتي:

١- من أسفل الحلق وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء.
٢- ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء.
٣- مما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء.
٤- مما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف.
٥- من أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف.
٦- وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.
٧- من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.
٨- من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية، مخرج اللام.
٩- من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون.
١٠- من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا؛ لانحرافه إلى اللام، مخرج الراء.
١١- مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.
١٢- مما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين.
١٣- مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء.
١٤- من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء.
١٥- مما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.
١٦- من الخياشيم مخرج النون الخفيفة، ويقال لها الخفية أو الساكنة.

١

س٣: اذكر جوانب الفكر الصوتي عند ابن جني.

ج٣: ظهر ابن جني في فضاء الفكر العربي الإسلامي بصفة عامة، وفي فضاء الفكر اللغوي بصفة خاصة في فترة من الزمن شديدة الأهمية والخصوبة والعطاء، وتُعدّ فترة مفصلية [illegible] في تاريخ اللغة العربية؛ لأنها فترة حاجزة بين عصر الاحتجاج والاستشهاد باللغة، وعصور ما بعد الاحتجاج، أي العصور المولَّدة.. التي اعترى فيها الفساد اللغة العربية في ألسنة الحضر والبدو على السواء.

ظهر ابن جني خلال القرن [illegible] الرابع الهجري، وكانت العربية لا تزال فصيحة في البادية مولدة في الحضر والمدن، كما ظهر بعد مجموعة من طبقات اللغويين العمالقة؛ أولهم أبو عمرو بن العلاء، ثم الخليل بن أحمد ومعه وبعده سيبويه، ثم أبو علي الفارسي، ومع هؤلاء جميعا أجيال متعاقبة من اللغويين الأشباه (جمع ناجه).

نتوقع من ابن جني بعد هذه المعطيات أنه يكون ملما بمعظم جزئيات الفكر اللغوي المطروحة قبله، وأن يكون قد استوعبها، وفهمها، وهضمها، وتمثلها جيدا، ثم صاغ لنا فكره اللغوي بجميع فروعه ومستوياته من صوت وصرف ونحو ودلالة وقراءات قرآنية ونقد أدبي وغير ذلك مما يتصل باللغة ودراستها.

وإذا [illegible] أردنا الإلمام بجوانب الفكر الصوتي

[illegible] الصفحات ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣

الأعوام، لكننا نكتفي هنا بالإشارة - مجرد الإشارة - إلى الخطوط العامة لفكرة الصوتي في النقاط الآتية:

الأولى: تتعلق بالوصف الصوتي المحض لأصوات العربية وما يتعلق بذلك من الحديث عن المخارج، وصفات هذه الأصوات من همس وجهر، وتفخيم وترقيق (وعدماه إطباقا)، واستعلاء في مقابل الاستفال)، ومن شدة ورخاوة (انفجار واحتكاك) وتوسط بينهما من جانبية وترددية، وأنفية، وغير ذلك من صفات.

ومن الجدير بالذكر في هذه النقطة أن ابن جني تبع سيبويه في معظم ما جاء به، إن لم يكن فيه كله.

الثانية: تتعلق بالجانب الوظيفي للأصوات العربية، وهو ما يسمى: الفنولوجي، في مقابل الفوناتيكي الذي يتعلق بالنقطة السابقة (الأولى).

وهنا تحدث ابن جني - وخاصة في كتابه: سر صناعة الإعراب - عن وظائف الأصوات العربية في بناء الكلمة ودورها في الوقوع أصلا، أو زائدا أو مبدلا من أصل، وتحدث عن ورود الصوت فاء للكلمة، أو عينا، أو لاما، إلى غير ذلك من موضوعات ومسائل تتصل بوظائف الأصوات في بنية الكلمة العربية.

٢

الثالثة: علاقة الأصوات بالصرف، ويحدثنا في هذه النقطة عن موضوعات الإعلال والإدغام، وعن التتابعات الصوتية المسموح بها، والتتابعات غير المسموح بها. وهذا كله مشروح بالتفصيل في (سر صناعة الإعراب).

الرابعة: تتعلق بالقراءات القرآنية بصفة عامة، والقراءات الشاذة بصفة خاصة، وقد تأثر ابن جني في هذه النقطة تأثراً واضحاً ومباشراً بشيخه أبي علي الفارسي، ويظهر ابن جني هنا شامخاً عملاقاً ومفكراً لغوياً موسوعياً؛ لأنه يربط ربطاً عبقرياً بين الحقائق الصوتية وموضوعات الصرف والنحو والدلالة والقراءات الشاذة ويناقش ذلك كله بالتفصيل.

وقد احتوى كتابه (المحتسب) معظم فكره الصوتي في هذا المجال.

الخامسة: إيحاء الأصوات بمعانيها، وقد تكلمنا عنها بالتفصيل في جواب السؤال الرابع، فعلى الطلاب تلخيص ما ورد هناك، وكتابته في هذه النقطة.

(١)

س٤: تكلم عن إيحاء الأصوات بمعانيها عند ابن جني والخليل.

ج٤: تتضمن الإجابة عن هذا السؤال النقاط الآتية:
* مفهوم المحاكاة الصوتية ومدى واقعيتها في اللغات
* إدراك الخليل بن أحمد لها، وكذلك سيبويه.
* توسعات ابن جني في شرح الظاهرة والتدليل عليها

① يقصد بمحاكاة الأصوات لمعانيها أن تدل الكلمة على معناها بطبيعة أصواتها، أي أنه بمجرد سماع أصوات الكلمة نفهم المعنى المراد منها.
وزيادة على ما سبق نقول: إن الصوت أو الكلمة التي إذا سمعها (الأجنبي) عن اللغة وفهم معناها المراد منها كانت هذه الكلمة من ظاهرة المحاكاة الصوتية.
ومن ذلك: عواء الذئب، ومواء القط، وفحيح الأفاعي، وأزيز الطائرة... الخ.
ومن ذلك كلمة (كودك) ودلالتها على آلة التصوير؛ فاللفظة بأصواتها تحاكي حركة التقاط الصورة بالكاميرا، أي أنها تصور صوت الضغط على (زرار) الكاميرا عند التصوير... وهكذا.

② وقد أدرك الخليل بن أحمد هذه الظاهرة، ودلّل عليها ومثّل لها بالفرق المعنوي بين المضعف الثلاثي والمضعف الرباعي، وذلك عندما أدرك الامتداد والاستطالة في (صرّ) والتقطيع والتتابع في (صرصر).
وجاء بعده سيبويه وأقر الظاهرة، والمثال، وزاد عليه إيحاء بعض المصادر بمعانيها، ومنها المصدر الذي على وزن (فَعَلان) للدلالة على الحركة والاضطراب،

٥

وكذلك المصادر التي بوزن (فَعَلَى) للدلالة على السرعة،

٣ وجاء بعدهما ابن جني وتوسع كثيرا جدا في استعراض الظاهرة، ومثّل لها، واستخلص منها بعض خصائص اللغة العربية، واتضحت هذه التوسعات في المسائل التالية:

١- مسألة (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)،

وهذه المسألة أقرب المسائل إلى موضوع المحاكاة الصوتية التي يتكلم الناس عنها تحت عنوان: إيحاء الأصوات بمعانيها.

وقد تأثر ابن جني بالخليل وسيبويه في موضوع إيحاء الأصوات بمعانيها، يقول:

«اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته، قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًّا، فقالوا: صَرَّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا، فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على (الفَعَلان): إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو: النقزان، والغليان، والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال (الوزن) [redacted] توالي حركات الأفعال، ووجدت أنا (أي ابن جني) من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه، ومنهاج ما مثّلاه»،

وقد ذكر ابن جني أمثلة كثيرة لتوضيح هذه الظاهرة اللغوية، = ظاهرة محاكاة الأصوات لمعانيها، أو المناسبة بين الألفاظ ومعانيها — فقال:

«فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم؛ وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره، من ذلك قولهم: خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب، والقضم للصلب اليابس، ...، فاختاروا الخاء - لرخاوتها - للرطب، والقاف - لصلابتها - لليابس؛ حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث»

كما ذكر بعد ذلك أمثلة كثيرة، منها: النضح، والنضخ، للماء الضعيف، والماء القوي، ومنها: القد، والقط، ومنها: الصعود والسعود ... الخ.

وظل ابن جني يسوق أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة لدرجة أنه عثر على بعض الأمثلة التي رأى فيها محاكاة تفصيلية للمعنى، أي أنه (جزأ) المعنى، و(وزعه) على عدد الأصوات المؤلفة للكلمة، ويجعل ذلك من حكمة العربية ولطفها. يقول:

«ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر، والحكمة أعلى وأصنع؛ وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها: ترتيبها وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي

آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقًا للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب، من ذلك قولهم: بحث، فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث، والبث للتراب. وهذا أمر تراه محسوسًا محصلًا، فأي شبهة تبقى بعده، أم أي شك يعرض على مثله؟".

٢- مسألة تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني: وهذا جانب ثانٍ من جوانب الفكرة، ومعنى التصاقب: التقارب، ويقصد به: تقارب الألفاظ لتقارب المعاني، أي أنه إذا تقاربت المعاني تقاربت الألفاظ المعبرة عنها.

٣- إمساس الألفاظ أشباه المعاني: ويعني هذا الجانب وجود مناسبة واضحة بين الألفاظ ومعانيها.

٤- قوة الصوت وضعفه بحسب المعنى الذي يعبر عنه: سواء كانت هذه القوة ذاتية، أم كانت موضعية، وقد ذكر ابن جني أمثلة كثيرة في مستويات الصوتية والصرفية والنحوية.